وصفات نبوية للمهمومين

أسامة بن زيد الحجي

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـــــالمين، والصـــــلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، أما بعد:

أخي المهموم:

بادئ ذي بدء، أن تدرك أن هـذه الهمـوم والأحـــزان، والنكبـــات والآلام، تســـمي (ابتلاءات)، يبتلي الله بها مَن يشـــــاء من عباده في هذه الدنيا:

1- إما بســـــــبب ما يقترفه العبد من الــذنوب والمعاصــي؛ ليســتيقظ القلب من غفلته، ويرجع لله بطاعته.

2- وإمـــا بســـبب تمحيص من اللـــه لعبـــده؛ لـــترفع الـــدرجات، وتكفـــر السـيئات، وتُقـال العـثرات، لمَن صـبر واحتسب الأجر والثواب من الله تعالي.

تصبر ففي اللأواء قد
ولولا صروف الدهر لم
وإن الذي أبلي هو
جميل الرضا يبقي لك
وثق بالذي أعطي ولا
فليس يجزم منك أن

فلا نعم تبقي ولا نقم
يدوم كلا الحالين عسر
تقلب هذا الأمر ليس
لديه مع الأيام حلو ولا

واعلم أخي أن هـــذه الـــدنيا دار ابتلاء، بنوعيه الاثــنين الآنفين، فكل عنــده همــوم وأحزان، فلا أحد يسـلم منها البتـة، قـال ابن الجــوزي رحمه اللــه: الــدنيا وضـعت للبلاء: فينبغي للعاقل أن يوطن نفسه على الصـبر، قـال الله تعـالي: **﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُـؤْمِنِينَ مِنْـهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفـال: 17]**، وقال الله تعالي: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَـيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُـوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْـوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَــرَاتِ...﴾ [البقــرة: 155]**، لذلك هون عليك المصيبة.

فهـــذا مـــريض لا يتحـــرك إلا بـــالنظر فحســـب، وذا فقد أبـــاه أو أمه أو زوجه أو فلذة كبده ...!

وذاك فقد وظيفته، وذاك ... وذاك...

بل حـــتى أفضل البشر وهم أنبيـــاء الله (عليهم الصــلاة والســلام) ابتُلــوا بمصــائب

عــدة، قــال الله تعــالي: ﴿**الم * أَحَسِــبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُـوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُــونَ * وَلَقَــدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَــــــدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 1- 3].**

فهـذا النـبي الكـريم – بـأبي هو وأُمي – يبتليه الله سـبحانه وتعـالي بـابتلاءات عـدة منهــا: ما رواه الشــيخان عن عائشة رضي الله عنها أنها قـالت للنـبي ﷺ: هل أتي عليك يـوم كـان أشد من يـوم أُحُـد؟ قـال: «**لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبــة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يجبـني إلي ما أردت، فـانطلقت وأنا مهمـــــــــوم على وجهي، فلم أســـتفق إلا وأنا بقـــرن الثعــــالب (الســيل)، فـــرفعت رأســـي، وإذا بسـحابة قد أظلتـني، فنظـرت فـإذا فيها جبريل عليه الســلام، فنــاداني فقال: إن الله قد سـمع قـول قومك لــك، وما ردوا عليــك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتـأمره بما شـئت فيهم،**

فناداني ملك الجبال، فسـلم على ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قــول قومك لـــك، وأنا ملك الجبـــال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شــــئت: إن شــــئت لأطبقت عليهم الأخشبين (جبلان بمكة، أبو قبيس والـذي يقابلـه)**،** فقـال النـبي ﷺ: **لا، بل أرجو أن يخرج الله من أصـلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» [متفق عليه].**

وذا يوسف عليه الســـلام، يُــزَجُ به في غيـاهب السـجون بضع سـنين، ظلمًا وزورًا وبُهتانًـــا، دون أي ذنب يقترفـــه؛ ســـوي ما اتهمته به زوج العزيز بــــأن يوسف يراودها عن نفســـها -وحاشـــاه ذلـــك- مع أنه في حقيقة الأمر هي الـــتي تـــراوده عن نفسه **﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِــهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَـالَتْ هَيْتَ لَـكَ قَـالَ مَعَـــاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَـــنَ مَثْـــوَايَ﴾ [يوسف: 23].**

مكث يوسف عليه السـلام في السـجن وهو مهمومًا منزعجًا من جـراء ذلـك، ولكنه تحلي بالصبر والتسليم لهذا الابتلاء الرباني.

وذاك نـوح عليه السـلام يقـول لابنه وهو مبتلي بـــــه: ﴿**يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**﴾ **[هود: 42]**.

وذا الخليل إبــراهيم عليه الســلام يُبتلي بالنار، وهذا إسماعيل يُبتلي بالذبح.

وهذا أيـوب عليه السـلام يُبتلي بـالمرض من بعد كثرة المال والولد.

والقصص أكــثر من أن تُحْصَــر في هــذا المقام.

فيا أخي المبارك:

أين أنت من التأسي بالأنبيـــاء بصـــبرهم على ابتلاءاتهم الشديدة.

قضاء وقدر:

ثم اعلم أن ما أصـابك لم يكن ليخطئـك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

فما أصـابك فهو من الله جل وعلا قضـاًء وقـدرًا، ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ **[التوبة: 51]**.

قـال الوليد ابن الصـحابي الجليل عبـادة بن الصامت (رضي الله عنـه): (دخلت على عبـــادة وهو مـــريض أتخايل فيه المـــوت، فقلت: يا أبتاه أوصني، واجتهد لي.

فقـال: أجلســوني، فلما أجلسه قـال: يا بـــني، إنك لن تجد طعم الإيمـــان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالي حتى تـؤمن بالقدر خيره وشره.

قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟

قـــــال: تعلم أن ما أخطـــــأك لم يكن ليصـــيبك، وما أصــابك لم يكن ليخطئــك، يا بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقــول: «**إن أول ما خلق الله تعـــــالي القلم، ثم قال: اكتب، فجري بتلك الســاعة بما هو كائن إلي يوم القيامة**».

يا بـــني، إن مت ولست على ذلك دخلت النار). **[أخرجه الإمام أحمد والترمذي]**.

فلمَ الحزن، ولمَ الكآبة، ولمَ اليأس؟

ارض بما قسم اللــه لــك تكن أســعد الناس، وقل الحمد لله على كـل حــال،

وارفع شعار الاستسلام والصـبر لأقـدار الله المؤلمة.

إذا بُليت فثق بالله

إن الذي يكشف البلوى

والله مالك غير الله

فحسبك الله في كل

وطن نفسك على التعامل الصـــــــحيح للأقــــــدار المؤلمة ولا تحمل نفسك ما لا تطيق.

فحزنك لا يغـير شـيئًا! وبكـاءك لا يغـير شيئًا! وكآبتك لا تغير شيئًا!

قــال ابن القيم رحمه اللـــه: فــإذا غلب العبد، وضاقت به الحيل، ولم يبق له بحـال، فهنالك الاستســـلام للقـــدر، والانطـــراح كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء.

ولكن أخي المهموم، اهتف بكلمات، تدل على إيمانك بالقضـاء والقـدر خـيره وشـره «قدر الله وما شاء فعل».

إنها كلمـــــــات يربينا عليها نبينا وحبيبنا محمد صــــلوات الله وســـلامة عليه عند

الاصطدام بالنكبات ونحوها.

قال رسول الله ﷺ من حديث أبي هريــرة (رضي الله عنه): «**المؤمن القوي خــير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خـــــير، احـــــرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقـل: لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شـــاء فعـــل، فـــإن لو تفتح عمل الشيطان**» **[أخرجه مسلم]**.

قال الشافعي رحمه الله:

وما شئتَ كان وإن لم
وما شئتُ إن لم تشأ
خلقت العباد على ما
وفي العلم يجري
علي ذا مننت وهذا
وهذا أعنت وذا لم تعنْ
فمنهم شقي ومنهم
ومنهم قبيح ومنهم

وصفات نبوية للمهموم:

1- عن أنس بن مالك قــال: كنت أخــدم النــبي ﷺ، فكنت أســمعة يُكْــثر أن يقــول: «**اللهم إني أعــــــــوذ بك من الهم والحــزن، والعجز والكســل، والبخل والجبن، وضــــلع الـــــدين، وغلبة الرجال**» **[أخرجاه في الصحيحين]**.

فهــذه الوصــفة الأولي، وهي التعــوذ من الهموم والأحزان والغمـوم كما اسـتعاذ منها النبي ﷺ في هذا الحديث.

2- عن ابن عباس، أن النبي ﷺ كان يقول عند الكــــــرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العــــــرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، رب الأرض رب العــــرش الكـــريم**» **[أخرجاه]**.

كلمــات تنزيه وثنــاء، لمن بيــده ملكــوت الســموات والأرض وما بينهمــا، فــنزه اللــهَ عله يفرج عنك ما أنت فيه.

3- أكثر الاستغفار لله جل شأنه، عن ابن عبــاس أن رســول الله ﷺ قــال: «**من لــزم**

الاســــتغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًـا، ورزقه من حيث لا يحتسب» [أخرجه أبو داود وابن ماجه وصحح إسناده أحمد شاكر].

4- الدعاء: قال الله تعالي: ﴿**قُـلِ ادْعُـوا اللَّهَ أَوِ ادْعُــوا الــرَّحْمَنَ** ...﴾ **[الإســراء: 110]**، فعليك بالدعاء والالتجاء لله، فانطرح على عتبــات بابه بالــدعاء فهو المســتجيب لمَن دعاه بصدق وإخلاص.

5- عن ابن مســــعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قـال: «**ما أصـاب أحـدًا قط هم، ولا حــــزن فقــــال: اللهم إني عبــدك، وابن عبــدك، وابن أمتــك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألكً بكل اسم هو لك ســـميت به نفســـك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحــدًا من خلقــك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القـــرآن ربيع قلـــبي، ونـــور صـدري، وجلاء حـزني، وذهـاب همي؛ إلا أذهب الله عز وجل همــــه، وأبدله**

مكان حُزنه فرحًا. قـالوا: يا رسـول اللـه، ينبغي لنا أن نتعلم هــؤلاء الكلمــات؟ قــال: **أجـــــــل، ينبغي لمن ســــــمعهن أن يتعلمهن» [رواه أحمد والـــــبزار وأبو يعلي وغيرهم].**

6- عن أبي هريـــــــرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: «**من قـال: لا حـول ولا قوة إلا بالله، كان دواء من تسعٍة داء أيسـرها الهم» [رواه الطـبراني في الأوسـط، والحـاكم وقـال الحـاكم: صـحيح الإسناد].**

7- عن ســعد بن أبي وقــاص رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله ﷺ: «**دعـوة ذي النـون إذ دعا وهو في بطن الحـوت: لا إله إلا أنت ســبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يـدع رجل مسـلم في شـيء قط إلا اسـتجاب الله له» [رواه الترمذي والنسائي والحاكم].**

8- عن ابن مسعود رضي الله عنه قــال: قال رســول الله ﷺ: «**ألا أعلمك الكلمات الــتي تكلم بها موسي عليه الســلام حين تجــاوز البحر ببــني إســرائيل؟**

فقلنـا: بلي يا رسـول اللـه، قـال: **قولـوا: اللهم لك الحمــد، وإليك المشــتكي، وأنت المسـتعان، ولا حـول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم**» قـال عبد اللـه: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ.

[رواه الطبراني في الصغير بإسناد جيد].

9- عن أنس رضي الله عنـه، أن النـبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «**يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث**» **[أخرجه الترمذي].**

10- عن أبي بكـــرة، أن رســـول الله ﷺ قـــال: «**دعـــوات المكـــروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلـني إلي نفسي طرفه عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**» **[أخرجه أبو داود في سننه].**

11- عن أسماء بنت عميس قالت: قــال رســـــول الله ﷺ: «**ألا أعلمك كلمــــــات تقــــــولينهن عند الكـــــرب – أو في الكــرب-: الله الله ربي لا أشــرك به شيئًا**» **[أخرجه أبو داود في سننه].**

والوصــفات أخي الكــريم كثــيرة جـــدًا لمُدْلَهمَّات الهموم والأحـزان، لكنـني أكتفي بذلك القدر كي لا أطيل عليك في الكلام.

* * * *

بشري للمهموم

البشري الأولي:

هي بشري من اللــه في محكم التنزيــل، قال تعـالي: ﴿**وَبَشِّــرِ الصَّـابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَـالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَــلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَـــــــــــةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 155 – 157]**.

يا صاحب الهم إن
أبشر بخير فإن الفارج
اليأس يقطع أحيانًا
لا تيأسن فإن الكافي
الله يحدث بعد العسر
لا تجزعن فإن الصانع

البشري الثانية:

قالت أم سلمة رضي الله عنها: ســمعت رسول الله ﷺ يقـول: «**ما من عبد تصـيبه مصــيبة فيقــول: إنا لله وإنا لله وإنا إليه راجعـــون، اللهم أجـــرني في مصـيبتي، وأخلف لي خـيرًا منهـا، إلا**

آجره الله تعالي في مصيبته، وأخلف له خـــيرًا منها» قـــالت: فلما تـــوفي أبو ســـلمة قلت كما أمـــرني رســـول الله ، فـأخلف الله لي خـيرًا منـه، رسـول الله . **[أخرجه مسلم]**.

البشري الثالثة:

عن أبي ســـعيد وأبي هريـــرة رضي الله عنهمـــا، عن النـــبي قـــال: «**ما يصـــيب المــؤمن من نصـــب، ولا وصـــب، ولا هَم، ولا حزن، ولا أذي، ولا غم، حتى الشوكة يشــاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» [متفق عليه]**.

البشري الرابعة:

وهي لمن أثقلت الـــديون عـــواتقهم وما أكثرهم في هذا الزمان:

عن على رضي الله عنه، أن مكاتبًا جاءه فقـــال: إني عجـــزت عن كتـــابتي فـــأعني، فقـال: ألا أعلمك كلمـات علمـنيهن رسـول الله ، لو كـــــان عليك مثل جبل أُحد دينًا إلا

أداه الله عنــــك، قــــل: «**اللهم اكفــــني بحلالك عن حرامك، وأغنـني بفضـلك عمن ســواك**» **[أخرجه الترمــذي وقــال: حديث حسن]**.

فهذه – أخي المهموم – مبشرات عظيمة، وحـوافز جميلـة، تـدفعك للثبـات والاحتسـاب على ما أنت عليه في مُصـــــــــابك، بطريقة صـــحيحة، ليرضي عنك مـــولاك وخالقك الله جل علاه، ولتظفر بهذه المبشرات العظيمــة، التي نَطَقَ بها القـرآن الكـريم والسـنة النبوية الشريفة.

والله أســأل أن يفــرج هم المهمـــومين وكــرب المكــروبين، وأن يقضي الــدين عن المدينين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلي الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أسامة بن زيد الخيبري

ozaid@al-islam.com